

الإثنين 23-07-2008

327- ملف الحب والكراهية (2 من 2)

خبرة شخصية حديثة

وعدت في يومية أمس أن أعرض بقية الخبرة الشخصية التي مررت بها مؤخراً وأنا منشغل بملف الحب والكراهية، وكانت نشرة أمس عن مشاعر الكره التي غمرتني، والتي أدت إلى أن أغامر بالتمييز بين الكره والكراهية وأنهيت النشر بتساؤل يقول:

إذا كان هذا عن "الكره" والكراهية، فهل هناك ما يقابله بالنسبة للحب؟ ووعدت بأن أحكي مراجعاتي (أو تراجعى) من واقع خبرتي الحالية بعيداً عن الألعاب والتنظير جميعاً.

خبرتي هذه تبدأ ببداية تكوين علاقة مع صغرى حفيداتي "نور" (عامين) - وأنا لى تسعة أحفاد وحفيدات (من ولدين وبننتين).

منذ عثرت على تعريف للحب (قبل ثلاثين عاماً) وأنه "الرعاية والمسئولية"، ثم أضفت إليه بعد ذلك "الرؤية" (الشوفان)، و"تحمل الاختلاف"، وأنا فرح بهذا التعريف أتباهى به، وأرفض ما هو دونه، وكنت أشعر أنني بذلك ألقن الناس دروساً في نوع ناضج موضوعي من الحب، لكن - للأمانة - رحت أتراجع رويداً رويداً، حين اكتشفت أنني بذلك أكاد أحرم المحبين من العمى اللذيذ، والكيمياء الخفية، والطرزجة الغامضة، واللذائذ المسروقة، ومع ذلك لم أتراجع ولكنني أيضاً لم أتمادى.

ثم إنى بعد أن فتحت ملف الحب والكراهية في هذه النشرات، وراجعت ما جاء في النشرة الخاصة بالتواصل بين البشر يومية 2007-9-26، ثم قفدت إلينا ألعاب "سر اللعبة" عن الحب والكراهية، انسحبت إلى واقع جديد أقيس به ما وصلني وما ادعى، وما أروج له، وكان المجال الأساسى في هذه الخبرة الشخصية هو فرصة لعمى مع أحفادى وحوارى مع بعضهم خلال الأسابيع القليلة الماضية، بدأت في التساؤل -أمس- إذا كان الكره طبيعة بشرية كما زعم الفرض فلماذا لا نرصده في الأطفال بشكل واضح يناسب أنهم أقرب إلى الطبيعة البشرية؟

من تتذكره وتريده، وتشير إلى التليفون، يبدو أن هذا ما حدث مع أمها التي استنتجت رغبتها في مهاتفتي، فطلبتني،

فرحت بصراحة فرحة مختلفة. جميلة ورائعة (الفرحة!)، ها هي نور تتذكرني وتذكرني وتسعى وهي تشير إلى التليفون وتناطق باسمي، كلمتها فرحا ولم أفهم شيئا أو لم اسمع إلا "ددي"، "بَحْ" (تقصد "بحر")، فعرفت أنها تذكر لعي معها في البحر. وانتهت المكالمة بندائي اسمها، وأن "حاضر" وبضع مقاطع متناثرة، وخلص.

حين وصلت إلى المصيف (بعيدا عن مصيفها بعض الشيء) طلبت أمها على هاتفها لأخبرهم بوصولي (وأني أنتظر الأولاد على الشاطئ) فإذا بريهام بدلا من أن ترد مباشرة، وقد عرفت أن الطالب هو أنا من رقم الهاتف، إذا بها تناول نور الهاتف وهي تقول: "كلم نور الأول". بعد أن تبادلنا نور وأنا كلمات غامضة انقلبت إلى مهممات لصعوبة سمعي وصعوبة نطقها، أخذت أمها التليفون منها، فسألته لماذا طلبت مني أن أكلم نور أولا، فقالت: لأنها أول ما سمعت الهاتف جرت نحوه وهي تقول قبل أن ترد "ددي، ددي...؟؟"، قلت لريهام: إيش عرفها أنه أنا الذي على الهاتف؟ وأنا نادرا ما أطلبكم؟ قالت لست أدري لكن هذا ما حدث، فسألته وهل جرت قبل ذلك على رنين سابق وهي تكرر نفس النداء، "ددي" فأكدت أمها أن هذا لم يحدث.

لا أريد أن أعلق الآن.. ولا حتى أن أكمل، لكنني عدت أتساءل:

ما هذا؟

ماذا اسمي كل ذلك؟

أهذا هو الحب الذي أعنيه وأكتب عنه؟

وإذا كنت قد رصدت ولو تجاوزا رعاية نور لجدتها ومسئوليتها عنها. فأين ذلك من هذه العلاقة التي تتكون هكذا معي، وكيف عرفت أنني أنا الذي على الهاتف؟

لنور أخوان: حسن (8 سنوات)، وكريم (4 سنوات) وأنا أزعم - لنفسى على الأقل- أنني أحبهم حبا جما، لكن ما معنى "أحبهم حبا جما" بعد أن فتحنا ملف "الحب والكراهة"؟، العجيب أنني وأنا أتأمل نفسي وأراجع تجليات الحب وأنواعه، اكتشفت أن ثَمَّ اختلاف اختلاف نوعيا لحي لكل واحد من الثلاثة على حدة، المبدأ موجود، واسمه التقريبي "الحب"، لكن، المشاعر جد مختلفة،

حي **حسن** منذ ولادته حتى الآن أشبه بالمشى في حديقة مفتوحة، وردها أغلبه أبيض وحشائشها شديدة الخضرة، والطرزجة تتلألأ في الشمس وفي ضوء القمر الفضي على حد سواء.

حي **لكريم**، يحيط برائحة وطققه أبو فروة على صاج ساخن حوله ناس طيبون في ليلة باردة،

حي نور أشبه برائحة السماء وأنا خارج من البحر
وأواجه تداعبني.

أنا متأكد أن هذه المشاعر مختلفة عن بعضها البعض، وأنها
ليس لها أية علاقة بالرعاية والمسئولية كما يزعم تعريف الحب
الذي فرحت به هرا.

ما الحكاية ؟

كيف نسمى مشاعر بكل هذا الاختلاف بنفس الاسم؟

خطر لي أن السبيل الأمثل لتناول هذه العاطفة المسماة
الحب، هو ألا نتناولها أو نسميها

مضطر أنا للتوقف لطارئ مفاجئ وأن أوّجل تفاصيل أكثر
عن هذه الخبرة الشخصية

وقبل أن أنهى هذه المقدمة أكتفى بأن أؤكد أن كل هذه
الخبرات لم تستطع أن تستجلب مجوارها أية كراهية، أو أي
رائحة لما هو "كره" .

إذن ماذا؟

هل مشاعرنا نحو الأطفال هي عواطف من نوع خاص وكذلك
مشاعرهم؟

هل يصح أن نسميها بنفس الاسم الذي نسمى به مشاعرنا نحو
بعضنا كبار وكبيرات؟

وأين الكره من كل هذا؟ (مرة أخرى)؟

وأى منطقة تلعب فيها الألعاب الخاصة بالكره والكراهية؟

فجأة : حدث طارئ أوقفني أن أكمل.

هل استسمحكم وتنتظرون للأسبوع القادم؟